ترجمة كلمة

سعادة الأستاذ الدكتور السير

ريـتشـارد بـيـتـو

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب (بالاشتراك) لعام 1425هـ/2005م

الأحد 1426/3/1هـ الموافق 2005/4/10م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء،
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

اسمحوا لي بترديد ما جاء من شكر وامتنان على لسان الأستاذ الدكتور دول الذي عملت معه لأكثر من ثلاثين عاماً في دراسة أخطار التدخين. لقد وصف ريتشارد دول كيف قابل الناس بفتور - في الخمسينيات من القرن الماضي - ما كشف عنه من مخاطر التدخين رغم أهميته الكبيرة كأحد أسباب الوفيات المبكرة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، وكيف أن ذلك الفتور لم يتغيّر كثيراً لمدة عشرين سنة أخرى.

في السبعينيات من القرن الماضي - عندما بدأنا نعمل سوياً في اوكسفورد - كانت نسبة الوفيات الناتجة عن التدخين في بريطانيا الأعلى والأسوأ في العالم. فقد تسبّب التبغ في ذلك الوقت في نصف الوفيات بالسرطان بين الذكور و في نسبة متزايدة من الوفيات بالسرطان بين النساء. ولكن بعد ذلك توقّف الكثيرون في بريطانيا عن التدخين وتمنى آخرون لو أنهم لم يدمنوا التدخين أصلاً وعبّروا عن رغبتهم في الإقلاع عنه. ونتيجة لذلك حققت بريطانيا أكبر نسبة إقلاع عن التدخين في العالم. من الطبيعي أنك إذا بدأت بأسوأ نسبة وفيات بسبب التدخين في العالم فسوف يبدو تحقيق أكبر درجة انخفاض في تلك الوفيات أمراً سهلاً، ولكن تحقيق ذلك الهدف استغرق في الواقع جهداً كبيراً وعملاً متصلاً من قِبل الباحثين عبر العقود الماضية ليس من

خلال توضيحهم لمدى خطورة التدخين فحسب، ولكن – وربما هو الأهم – من خلال ضخامة تلك المخاطر بالمقارنة مع غيرها من أسباب الوفيات المبكرّة. إن حوالي نصف المدخنين بانتظام يموتون في نهاية المطاف بسبب التبغ، وإن الإقلاع عن التدخين – وإن تم في منتصف العمر - مفيد حقاً في تجنُّب أسباب تلك الوفيات.

ومن الأمور الغريبة حقاً أن معظم المدخنين في السبعينيات من القرن الماضي كانوا يعرفون ولو بشكل مبهم وعام أن التدخين ضّار، ولكنهم لم يدركوا مدى خطورته وبالتالي لم يكترثوا لها كثيراً. وقد اهتمت معظم بحوث السرطان - منذ ذلك الوقت - بعلاج السرطان بدلاً من الوقاية منه. بل إن معظم المهتمين بالوقاية من السرطان ظنّوا أن السبيل للتخلص منه يكمن في اكتشاف المواد الكيميائية التي تسبب السرطان في حيوانات التجارب، ومن ثم التوصية بمنع استخدامها في الصناعة. حتى علماء الوبائيات الذين درّسوا في السبعينيات مسّببات السرطان، التي يمكن تفاديها، وجهوا أنظارهم نحو المخاطر المهنية وبعض الملوثات البيئية الأقل خطراً من التدخين. وبالتالي فقد كان الوقت مناسباً للتغيير، وقد كان من حسن حظنا أننا تمكنَّا من المشاركة في إحداث ذلك التغيير.

وخلال العقود القليلة الماضية ساهمت بحوثنا المتعلقة بوبائيات التدخين وخطره ومقارنته بالأخطار الناجمة عن مسببات السرطان الأخرى التي يمكن تجنبها في إيجاد مفهوم واقعي لحجم الخطر الناتج عن التدخين في الدول الغربية وازداد الفهم تدريجياً في بقية دول العالم. وأخيراً تم في هذه السنة التوقيع على الإطار العام لميثاق هيئة الصحة العالمية للسيطرة على التبغ، الذي يشكل أساساً لقانون دولي للحد من أخطار التبغ. لقد توفي في القرن الماضي حوالي مئة مليون نسمة بسبب التدخين ومن الممكن أن يموت بليون نسمة آخرين بنهاية القرن الحالي، خصوصاً في الدول النامية. وهذه الأرقام دقيقة ويمكن الاعتماد عليها على مستوى العالم. ولكن مازالت هناك حاجة لإجراء دراسات في العديد من الدول لمعرفة معدلات الأمراض والوفيات الناتجة عن التدخين و ما إذا كانت آخذة في الانحسار أو متجهة نحو الزيادة، كما هو الحال في كثير من المجتمعات. وفي نيَّتي أن أخصص نصيبي من القيمة المادية للجائزة في تمويل دراسات طويلة الأمد بالاشتراك مع علماء الوبائيات العرب، لمعرفة مخاطر السِمنة وارتفاع ضغط الدم والتدخين في البلاد العربية. وإنني أشكركم على منحي هذه الفرصة لتحقيق ذلك.